العبودية لله تعالى
الزمان والمكان: 19/رمضان/1427هـ ــ طهران
المناسبة: خطبة صلاة الجمعة
الحضور: جمع من المصلّين

الخطبة الأولى

بسم اللَّه الرّحمن الرّحيم

«والحمد للَّه ربّ العالمين، نحمده ونستعينه ونتوجّه إليه ونستغفره، ونصلّي ونسلّم على حبيبه ونجيبه وخيرته في خلقه، حافظ سرّه ومبلّغ رسالاته، بشير رحمته ونذير نقمته، سيّدنا و نبيّنا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمّد، وعلى آله الأطيبين الأطهرين المعصومين، وصحبه المنتجبين، اللّهم صلّ على وليّك وحجّتك صاحب الزّمان، ومظهر الإيمان، ومعلن أحكام القرآن، وصلّ على أئمة المسلمين و حماة المستضعفين و هداة المؤمنين».

إنَّنا في رحاب اليوم التاسع عشر من شهر رمضان المبارك، أحد الأيام التابعة لليالي القدر، ويوم ضربة مولى المتّقين وقائد الغرّ الميامين، أمير المؤمنين (عليه الصّلاة والسّلام).

في بداية حديثي، أوصيكم جميعاً ــ أيّها الأخوة والأخوات ــ ونفسي بذكر الله، والتمسّك بتقواه واتّباع أمره.

إنَّ الصيام، والعبادة، والقيام بأعمال ليالي القدر وتلاوة القرآن، تعتبر من أهم الآثار لشهر رمضان المبارك؛ لأنَّها تجنّب قلوبنا المعاصي وتجعلها طافحة بالتقوى.

سوف أتعرَّض في الخطبة الأولى إلى جملة مختصرة في باب الدعاء ــ لأنَّه فضلاً عن كون

شهر رمضان، هو شهر الدعاء، فإنَّ ليالي وأيام القدر، مختصّة بالدعاء أيضاً، وعلينا

استغلال هذه الفرصة ــ وبعد ذلك أتحدَّث قليلاً عن أمير المؤمنين (ع).

إن ملخّص حديثي في باب الدعاء، هو: أنَّ الدعاء يعتبر مظهر العبودية لله تعالى، والهدف منه تقوية صفة العبودية عند الإنسان، وإنَّ الاتّصاف بهذه الصفة،

والإحساس بها مقابل الله تعالى، كان هدف جميع أنبياء الله ــ بدءاً بأوّلهم وانتهاءً بآخرهم ــ ويظهر ذلك من خلال تعاليمهم ومساعيهم.

إذاً، فإنَّ هدف الأنبياء هو إحياء صفة العبودية عند الإنسان.

إنَّ المنبع الرئيسي لجميع الفضائل الإنسانية، والأفعال الحسنة ــ التي يتمكّن الإنسان من القيام بها، ــ سواء كان ذلك على المستوى الشخصي، أو الاجتماعي ــ هو الإحساس بالعبودية مقابل الله تعالى، وإنَّ النقيض من ذلك، الشعور بالتكبّر والأنانية والعجب؛ لأنَّ الأنانية هي منشأ جميع الآفات الأخلاقية التي تصيب الإنسان، وما يترتب عليها من آثار ونتائج على مستوى السلوك العملي.

إنَّ منشأ جميع الحروب والمذابح التي تحدث في العالم، والظلم الذي يقع، والفجائع التي حدثت على مرّ التاريخ ــ التي قرأتم عنها أو سمعتموها أو تشاهدونها في هذه الأيام ــ هو الشعور بالأنانية والتكبّر والعجب، الذي يعتبر المنبع الأساسي للفساد والتدهور الموجود في حياة بعض المجتمعات البشرية.

إنَّ العبودية تقع على طرفي النقيض من الأنانية والتكبّر والعجب.

ولو جُعلت هذه الأنانية والتكبّر في مقابل الله تعالى، أي يجعل الإنسان نفسه مقابل الباري تعالى، فسيؤدي ذلك إلى ظهور حالة الطغيان؛ مما يجعله أن يكون طاغوتاً، وهذا لا يختصّ بالملوك وحسب، بل إنَّ أيَّ شخص منّا ــ بني الإنسان ــ يمكن له أن يجعل من نفسه

ــ لا سمح الله ــ طاغوتاً وصنماً، ويقوم بتنشأته وتربيته.

إنَّ التمرّد والتكبّر على الله تعالى، يؤدي إلى تنمية حالة الطغيان عند الإنسان، فإن كان ــ هذا التكبّر ــ على النَّاس، فسيؤدّي إلى الاعتداء على حقوق الآخرين، والتجاوز والتطاول على حقوق هذا وذاك، وإذا كان على الطبيعة، فسوف يؤدّي الى التفريط بالبيئة الطبيعية؛ أي أنَّ ما نراه اليوم من اهتمام بمسألة البيئة في العالم، يجعلنا نعتبر عدم الاهتمام بالمناخ الطبيعي للبيئة التي يعيش فيها الإنسان، من مصاديق الطغيان والتكبّر والأنانية التي نقوم بها إزاء الطبيعة، والدعاء مخالف لكل ذلك.

إننا عندما ندعوا ــ ففي الحقيقة ــ إننا نقوم بإيجاد حالة الخشوع في أنفسنا، وتحطيم روح التكبّر والأنانية فيها، الذي سيؤدي بدوره إلى حفظ عالم الوجود وبيئة الإنسان الحياتية؛ نتيجة لفقدان حالة الطغيان والتجاوز من قِبَل المتكبّرين على حقوق الإنسان والطبيعة؛ ولهذا جاء في الحديث الشريف: «الدّعاء مخُ العبادة»[1].

إنَّ الهدف من العبادة هو: تقوية صفة التسليم عند الإنسان لله تعالى وخشوع القلب مقابل عظمته، وإنَّ هذه الطاعة والخشوع مقابل الله تعالى ليست من قبيل تواضع وخضوع الناس بعضهم للبعض، بل بمعنى التواضع والخضوع مقابل الخير، والجمال، والحسن، والفضل المطلق؛ ولهذا فإنَّ الدعاء، والفرصة التي نحصل عليها للقيام بالدعاء تعتبر من النِعَم، ففي وصية أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) إلى الإمام الحسن المجتبى (ع) ورد هذا المعنى: «اعلم أنَّ الذي بيده خزائن ملكوت الدّنيا والآخرة قد أذن لدعائك وتكفّل لإجابتك وأمرك أن تسأله ليعطيك »[2]

إنَّ العلاقة والارتباط مع الله ــ التي تحصل من نتاج الطلب منه تعالى للحصول على عطاياه ــ هي الباعث على تسامي روح الإنسان، وتقويتها، «و هو رحيم كريم لم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه»[3].

فإنَّ الله تعالى يسمع صوتك ويقضي حاجتك، في أي وقت تدعوه وتعرض حاجتك عليه، فإنَّك تستطيع أن تخاطب الله تعالى، وتتحدث إليه وتأنس به وتطلب منه في أي وقت، وهذه نعمة كبيرة بالنسبة للإنسان.

إنَّ أهم خواص الدعاء ــ التي تحدّثنا عنها مقداراً في ما سبق ــ هو الارتباط بالله والإحساس بالعبودية في حضرته، وإنَّ ذلك يعتبر من أكبر النعم الإلهية؛ وكذلك تظهر خواص الدعاء حينما ندعوا الله فيستجيب دعوتنا.

إنَّ الاستجابة الإلهية من قِبَل الباري عزَّ وجلَّ، تتحقق بدون قيد أو شرط، إلا أننا نمنع الإجابة؛ نتيجة لِمَا نرتكب من معاصي، فنكون السبب الباعث لحجب ما ندعوا

---

[1]. بحار الأنوار: ج90، ص300.

[2]. بحار الأنوار: ج4، ص203.

[3]. المصدر السابق.

به، وهذا بحدّ ذاته يعتبر من المعارف التي نتعلّمها من الدعاء، وهو أحد الخصوصيات التي يمتاز بها الدعاء أيضاً.

إنَّ إحدى البركات التي نحصل عليها من خلال الأدعية المأثورة التي وصلتنا عن طريق الأئمة (عليهم السلام) هو: أنَّ هذه الأدعية مليئة بالمعارف الإلهية، فإنَّ أدعية الصحيفة السجّادية، ودعاء كميل، والمناجات الشعبانية، ودعاء أبو حمزة الثمالي ــ وبقية الأدعية الواردة الأخرى ــ كلَّها معارف إلهية، بحيث لو قرأها الشخص وفهمها، فإنَّه يحصل على مجموعة كبيرة من المعارف، فضلاً عما يصحبه من تعلّق قلبي وارتباط مع الذات الإلهية المقدّسة.

إنَّني أأكد في وصيّتي للشباب، على الاهتمام بقراءة ــ ترجمة ــ هذه الأدعية، فإنَّ دعاء عرفة وأبي حمزة الثمالي، طافحة بالمعارف، وكذلك دعاء كميل الذي نقرأ فيه: «اللّهم اغفر لي الذّنوب التي تحبس الدّعاء؛ اللّهم اغفر لي الذّنوب التي تُنزل البلاء» أو «تُنزل النقم»، فإنَّ كلّ ذلك يعتبر من المعارف الإلهية؛ ومعنى ذلك هو أننا ــ بني الإنسان ــ نرتكب أحياناً أخطاءً وذنوباً، تؤدّي إلى منع الاستجابة لأدعيتنا، وأحياناً تصدر منَّا بعض الذنوب تجلب لنا البلاء.

وفي بعض الأحيان تقع بلايا عامة وشاملة؛ نتيجة لبعض الذنوب، وبالطبع، لا يُنبأ عن السبب الذي أدّى إلى وقوع هذا البلاء، إلا أنَّه عندما يفكّر العارفون ويتدبّروا في ذلك؛ يدركون السبب الذي أدّى إلى وقوع البلاء على هذه الأمَّة.

إنَّ بعض آثار الأعمال سريعة، وبعضها تحتاج إلى بعض الوقت، وهذا ما يخبرنا به الدعاء أيضاً.

أو عندما نقرأ في دعاء أبي حمزة الثمالي: «معرفتي يا مولاي دليلي عليك وحبّي لك شفيعي إليك؛ وأنا واثق من دليل بدلالتك و ساكن من شفيعي إلاّ شفاعتك »[4]

لاحظوا إنَّ هذه الكلمات تفتح بصيرة الإنسان، وتزيد في معارفه، فهي من أنوار الله وفيوضاته، وتوفيقاته وعناياته الربّانية؛ وهذا هو ما نستطيع الحصول عليه في الدعاء، وبناءً على ذلك، ينبغي لكم إعطاء أهمية للدعاء.

---

4. بحار الأنوار: ج95، ص83.

إنَّ الدعاء، هو الطلب من الله تعالى، ويمكنكم أن تدعو باللغة الفارسية، أو أي لغة أخرى، وتطلبوا كل ما تحتاجونه منه، وهذا هو معنى الدعاء.

في بعض الأحيان لا توجد لدى الإنسان حاجة ــ رغم تعدد واختلاف حوائجه ــ بل يريد الاستئناس بالقرب من الله ، وأحياناً يحتاج إلى رضى الله أو مغفرته، وهذا يعتبر نوع

من أنواع الحوائج أيضاً، وأحياناً يطلب الإنسان أمراً مادياً، فلا ضير في ذلك كلّه.

إنَّ الطلب من الله ــ أي شيء وبأي لغة ــ أمر مرغوب، ويحتوي على الخصائص التي تطرّقت إليها أيضاً؛ أي الارتباط بالله والشعور بالعبودية.

طبعاً، إنَّ أفضل المضامين ذات الألفاظ الجميلة، والمليئة بالمعارف الإلهية، تجدونها في الأدعية المأثورة عن الأئمة (عليهم السلام)، وعليكم معرفة أهميتها، والاستعانة بها.

والآن أتحدَّث قليلاً عن حياة أمير المؤمنين (ع).

إنَّ حياة أمير المؤمنين (ع)، تمثّل حياة مسلم كامل، وإنسان من الطراز العالي، فهو المثل الأعلى، الذي قضى مراحل حياته ــ طفولته وصباه ــ في كنف النبي (ص) وتحت رعايته، بل ترعرع في أحضان النبي، وتربَّى بتربيته.

فقد كان (ع) متّبعاً الرسول (ص) في عهد صباه وشبابه، من حين ما بدأت البعثة وما رافقتها من حوادث جسيمة جرت على الرسول (ص)، حيث شهد (ع) جميع تلك الحوادث، بما فيها من مواجهات ومخاطر شهدتها فترة بداية البعثة النبوية ــ منذ اليوم الأول للبعثة وحتى اليوم الذي أعلنت فيه الرسالة ــ

إنَّ أمير المؤمنين هو الذي يقول: «لقد كنت اتّبعه اتّباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً و يأمرني بالاقتداء به»[5]

لقد كان الرسول (ص) يربّي هذه الشخصية المرموقة والملكوتيّة ويُعدّها، حيث يقول (ع):

---

[5]. بحار الأنوار: ج14، ص475.

«ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه وآله) و خديجة و أنا ثالثهما، أرى نور الوحي
و الرّسالة وأشمّ ريحَ النّبوة »
حينذاك بدأت البعثة، وما تلتها من حوادث ومواجهات؛ وذلك عندما أُخرج رسول الله (ص) والمسلمون من مكّة، وأُجبروا على اللجوء إلى شعب أبي طالب ــ الوادي الذي كان تابعاً لأبي طالب (ع)، وهو مكان ليس فيه ماء وكلأ ــ وقد كان عمر أمير المؤمنين (ع) حينها سبعة عشر عاماً، فقد دخل إلى شعب أبي طالب وعمره الشريف سبعة عشر عاماً، وقد أصبح له من العمر عشرون سنة، حينما خرج منه بتلك الطريقة الاعجازية.
وعندما ذهب الرسول (ص) الى الطائف، علّه يحصل على موطئ قدم فيها ــ حيث بقي عشرة أيام هناك ــ كان أمير المؤمنين (ع) في رفقته، وعندما علم سادة وكبار الطائف أنّ الرسول الأكرم (ص) قد قدم للطائف، قاموا بحثّ الغلمان والعبيد والسَوَقة من الناس لرمي الرسول (ص) بالحجارة، وعندما فعلوا ذلك، أخذ أمير المؤمنين (ع) يدافع عن الرسول (ص) ويذب الأذى عنه.
وفي تلك الليلة التي جاء فيها ــ لأول مرَّة ــ مجموعة من كبار ووجهاء أهل المدينة إلى منزل عبدالمطلب القديم بخفية؛ من أجل البيعة، وجلسوا إلى جنب النبي (ص)، وما أن علم بذلك كفار قريش إلا وجاءوا إلى البيت وقاموا بمحاصرته واستعدوا للهجوم عليه؛ لم يأتِ للدفاع عن الرسول (ص) إلا أمير المؤمنين، والحمزة بن عبد المطلب (عليهما السلام).
إنَّ هذا الشاب ــ المؤمن الحقيقي، المتّقي، الطاهر، الكامل، والنوراني المتصل بمنبع الوحي ــ نذر شبابه خلال الثلاثة عشر عاماً التي رافق بها الرسول (ص)، وكل وجوده للرسالة والرسول (ص)، وقد أخذ على عاتقه ــ أيضاً ــ أصعب الوظائف أثناء هجرة الرسول (ص)؛ أي حمل النساء (الفواطم) وأرجع الأمانات التي كانت مودعة عند رسول الله (ص)، ثمَّ التحق بقبا والمدينة.

إنَّ أمير المؤمنين (ع) كان في المدينة قائداً ومؤمناً، وتلميذاً للرسول (ص)، وعابداً من الطراز الأول، من بين المسلمين كافة.

إنَّ العيون معلَّقةٌ به، في ساحة الحرب، كما أنَّ أنوار وجوده المبارك في المسجد، وفي حالة العبادة، تسيطر على جميع القلوب، و هو الأكثر قبولاً، وعلماً، وسؤالاً دون سواه عند منبر رسول الله (ص)، فقد جاء في إحدى الروايات، أنَّه سُئل (ع): لماذا تروي كثيراً عن رسول الله (ص)؟ قال: إنَّني أسأل الرسول (ص)، فيجيبني، وعندما لا أسأله يبادرني بالسؤال.

بناءً على ذلك، فإنَّ أمير المؤمنين (ع) يعتبر أفضل تلامذة رسول (ص)، ولقد أمضى مع الرسول (ص) عشرة أعوام ــ أيضاً ــ بكلّ محنها وصعوباتها، وحلوها ومرّها.

وبعد وفاة الرسول (ص)، بدأت حوادث السقيفة ومسألة الخلافة.

حسناً، من المعلوم أنَّ الحقّ كان مع أمير المؤمنين (ع)، وهو يعلم أنَّ الحقّ معه، إلا أنَّه لم يصدر منه شيء يعيق البيعة، بل قبلها عندما تمَّت، وإن كان أُجبر على ذلك؛ لأنَّه لم يرغب أن يكون حائلاً بين الناس وبين البيعة، الأمر الذي يودّي الى حدوث فتنة فيما بينهم؛ لذلك فإنَّه اجتنب هذه الأمور، وأوّل عمل قام به، أنَّه اعتزل الناس؛ أي أنَّه لم يُسبب أيّ متاعب للأشخاص الذين استلموا السلطة.

ثمَّ أنَّه شعر بعد فترة قصيرة أنّ المجتمع الإسلامي بحاجة إليه، حيث كان يقول: «حتّى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يريدون محو دين محمّد (صلّى اللّه عليه و آله)»[6]، عندها دخل الميدان، وأخذ بتقديم العون والمشاركة، ومساعدة الأشخاص الذين تولّوا إدارة المجتمع، فكان يهديهم ويرشدهم في المواضع التي يخطأون، أو ينحرفون فيها، سواء كان ذلك في المجال

العلمي أو السياسي، بل في جميع المجالات، وهذا ما يعترف به الجميع، وليس نحن الشيعة فقط.

فإنَّ كتب الروايات والتاريخ الإسلامي التابعة للشيعة والسنّة مليئة بالأخبار التي تتحدث عن الإرشادات والتوجيهات التي كان يقدّمها أمير المؤمنين (ع) لهؤلاء، ومنها ما جاء

---

6. بحار الأنوار: ج28، 187.

في الحديث: «لولا علي لهلك عمر»[7]، الذي رواه السنّة في مواطن مختلفة من كتبهم، بالإضافة إلى أنَّه روي من طرق الشيعة أيضاً، وكذلك ما قدّمه ذلك الرجل العظيم من إرشادات ومساعدات في مجال إعداد الجيوش، وإقامة الحدود، والأمور السياسية وغير ذلك، فقد كان أمير المؤمنين (ع) هو المرشد الكامل، ومركز الإشعاع في المجتمع الإسلامي.

فإنَّ الخمسة والعشرين عاماً التي عاشها معتزلاً، قد مرَّت بنفس الانطباع الذي تحملونه عنه أيضاً.

وعندما جاء وقت الخلافة، أظهر حينذاك أمير المؤمنين (ع) معجزته في الإدارة والحكومة على مرِّ التاريخ، فإنَّ الأربعة أعوام والتسعة، أو العشرة أشهر التي حكَم فيها أمير المؤمنين (ع)، تعتبر معجزة في الحكومة، ولم يكن لها نظير، فقد كانت حكومة العدل المطلقة و الشجاعة المطلقة المشفوعة بالمظلوميّة المطلقة، على أنّ مثل هذا الوضع لم يحدث في زمان الرسول (ص)؛ لأنَّ الخطوط والحدود كانت واضحة ومعلومة في زمان الرسول (ص)، أمَّا في زمان أمير المؤمنين (ع) فقد كانت المشاكل معقدّة ومتشعّبة أكثر، فضلاً عمَّا حصل من توسّع في العالم الإسلامي، بعد أن كان الأمر مقتصراً على المدينة ومكّة وبعض المدن الأخرى.

لقد أصبح العالم الإسلامي في زمان أمير المؤمنين (ع)، بلاداً واسعة وعريضة، حيث أخذ النَّاس في الدخول إلى الإسلام جديداً، بالإضافة إلى أنَّ تخوم البلاد أخذت تشوبها الفوضى العقائدية، ومشاكل كثيرة من هذا القبيل، فإنَّ أمير المؤمنين (ع) تصدّى لمثل هذه الحكومة، التي تعتبر موضع افتخار جميع الحكومات المنصفة في العالم، التي تحاول أن تحصل ولو ببعض الشبه من حكومته، وهو ما لم ولن يتمكن منه أحد.

إنَّ أمير المؤمنين (ع) هو مظهر العدالة، والقداسة، والإنصاف، والرحمة، والتدبير، والشجاعة، ورعاية حقوق الإنسان، والعبودية للباري تعالى، وهذا هو ملخّص حياة أمير المؤمنين (ع).

---

[7] فتح الباري ج15: 131.

لقد ذُكرت هذه العبارة في أدعية وأذكار الليلة الماضية: (اللّهم العن قتلة أمير المؤمنين) [8]. اللهم: العن قتلة أمير المؤمنين، وأبعدهم من رحمتك.

إنَّ الذي ضرب أمير المؤمنين (ع) على فرقه بالسيف هو شخص واحد لا أكثر، إلا أننا نقول: قتلة! لاحظوا، فإنَّ هذا أيضاً يعتبر أحد الدروس التي يحصل عليها الإنسان من خلال الدعاء أيضاً، فليس من اللازم اشتراك الشخص في حادثة ما بصورة مباشرةً؛ لكي تُنسب له.

فمن اليوم الذي حدثت فيه فوضى التحكيم في حرب صفين، وخُدعت مجموعة من أهل الظاهر بالقرائين المعلّقة على رؤوس الرماح، بحيث أخذتهم العزّة بالإثم، فاعتبروا أنَّ الحقَّ معهم إلى درجة أنَّهم قاموا بالتجرّؤ على إنسانٍ كامل مثل علي (ع)، فأخذوا بالضغط

عليه وتهديده وإجباره على قبول التحكيم.

فمن ذلك اليوم، أُحتسب أولئك الأشخاص الذين ساهموا في تلك القضية من قتلة أمير المؤمنين (ع)، إلى أن تصل النوبة إلى مَنْ جحد حقّه، ومن أعان على قتله، ومن كان يسير وراء شهواته أو أغراضه الشخصية، من الذين كانوا السبب في شهادة هذا الرجل العظيم.

إنَّ اليوم هو يوم مصيبة أمير المؤمنين (ع)، حيث إنَّ هذه الفاجعة بدأت من مسجد الكوفة، ثمَّ أعقبتها الفجائع واحدةً تلو الأخرى، على امتداد حقبة كبيرة من الزمن، ولعلّنا نستطيع القول: إنَّ ذلك يمكن أن يستمر إلى قرون عدَّة؛ ولهذا أخذ جبرائيل الأمين ــ أو

منادياً من السماء ــ ينادي: (تهدّمت والله أركان الهدى، قُتل علي المرتضى)[9].

ثمَّ شهد الجميع من أنَّ أمير المؤمنين (ع): «قُتِل في محراب عبادته لشدّة عدله»[10].

---

[8] بحار الأنوار: ج97، ص 368. باب (5) زياراته صلوات الله عليه، الحديث 6.

[9]. بحار الأنوار: ج42، ص282.

[10] ملحمة الشمس لهادي دستباز، ص: 329، عن جبران خليل جبران.

إنَّ ذنب أمير المؤمنين (ع) هو العدالة، وهذه العدالة هي التي أوصلته إلى مقامه الرفيع، وأدّت إلى شهادته ، والشهادة تعتبر إحدى المراتب التي حصل عليها أمير المؤمنين (ع) أيضاً.

وفي اليوم الذي أُخرج فيه جسد أمير المؤمنين المضرّج بالدماء من المسجد، كان البعض يبكي، وكان الجميع متأثّراً، والقلوب تكاد تتفجّر من شدَّة الألم والحسرة، وقد كان أمير المؤمنين (ع) في ذلك يقول: «هذا ما وعدنا اللَّه ورسوله وصدق اللَّه ورسوله»، وعلى حسب ما نقل في الرواية أنَّه قال للإمام الحسن (ع): بُنَي، ما هذا البكاء؟ «فهذا جدّك رسول اللَّه وهذه خديجة و هذه أمّك فاطمة»، فهؤلاء جميعاً منتظرون قدوم أمير المؤمنين للّحوق بهم.

«بسم اللَّهالرّحمن الرّحيم. قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ »

اللّهم: نقسم عليك بقرب أمير المؤمنين منك ومقامه الرفيع عندك، أن تجعلنا من المتأسّين بأمير المؤمنين (ع) في عملنا، وأخلاقنا، وقولنا وفعلنا، وأنَّ تجعل ما نقوله ونسمعه مؤثّراً في نفوسنا ونفوس السامعين، واجعلنا من المسلمين بكل ما لهذه الكلمة من معنى، واجعل دعاء هذا الشعب المؤمن والمتديّن في هذه الليالي والأيام، مستجاباً.

اللّهم: اقض حوائج المحتاجين، وارحم أمواتنا واغفر لهم.

اللّهم: احشر أرواح الشهداء الطاهرة، والروح المباركة لإمامنا العظيم مع أوليائك الصالحين.

اللّهم: أنزل علينا رحمتك ومغفرتك، واجعلنا في بحبوحة رحمتك، وموضع عونك وهدايتك.

الخطبة الثانية

بسم الله الرّحمن الرحيم

الحمد للَّه ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين، سيّما على أمير المؤمنين والصّدّيقة الطّاهرة والحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة وعلي بن الحسين زين العابدين ومحمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق وموسى بن جعفر الكاظم وعلي بن موسى الرضا ومحمد بن علي الجواد وعلي بن محمد الهادي والحسن بن علي الزّكي العسكري والحجة القائم المهدي، صلوات اللَّه عليهم أجمعين، وصلّ على أئمة المسلمين، وحماة المستضعفين، وهداة المؤمنين، واستغفر اللَّه لي ولكم.

أذكّر جميع الأخوة والأخوات مرّة أخرى، أن لا يغفلوا عن تقوى الله، فإنَّ من الواجب علينا جميعاً المحافظة على التقوى، وإنَّ وصيّتنا الدائمة لأنفسنا ولإخوتنا وأخواتنا في الله، هي وجوب الحفاظ على التقوى.

أمَّا في هذه الخطبة، فإنَّني أرغب في التعرّض إلى بعض القضايا المتعلّقة بالمنطقة، ثم أتحدّث قليلاً مع الأخوة العرب في بعض شؤونها.

إنَّ قضية لبنان، لم تكن إحدى القضايا العادية، فإنَّ الحرب التي دامت ثلاثة وثلاثون يوماً، هي إحدى الحوادث التاريخية، التي لم يطرأ على فكرنا يوماً، أن تقع حادثة مشابهة لها في جميع بلدان المنطقة، ولم يتوقّع أعداء الشعوب المسلمة، بل ولا حتى أصحاب الصحوة الإسلامية، وقوع مثل هذا الأمر، إلا أنَّه وقع.

إنَّ هذه الحرب التي دامت ثلاثة وثلاثون يوماً، كان فيها طرف منتصر، وطرف منهزم.

حسناً، إن الطرف المنتصر هو حزب الله لبنان، والمقاومة اللبنانية، والشعب اللبناني، ــ

وفي الحقيقة ــ هو انتصار للأمَّة الإسلامية بأسرها، وقد أدخل هذا الانتصار السرور إلى قلوب جميع الشعوب، حيث سمعتم ــ وهذه هي الحقيقة أيضاً ــ أنَّ اسم حزب الله وقائده أصبح من أعذب الأسماء في العالم الإسلامي والدول العربية، وكافة الشعوب الأخرى، وأصبح أفراد هذا الحزب محبوبين عند النَّاس.

وكذلك الأمر في بلدنا، وفي تركيا، ومصر، وشمال أفريقيا، وكافة البلدان الإسلامية، بل في كافة أرجاء المعمورة، وهذا مؤشّر على أنّ العالم الإسلامي بأجمعه شارك في هذا الانتصار.

أمّا الطرف المنهزم، فهم ــ بالطبع ــ الصهاينة؛ أي الحكومة الإسرائيلة المزيّفة، إلا أنَّ جميع شعوب العالم اعترفت أيضاً، بأنَّ أمريكا كانت جزءاً من الطرف المنهزم.

وهذا ما صرَّح به الأوربيون أيضاً، وكذلك اعترفت به أمريكا من خلال التلميح لذلك بأشكال مختلفة.

لقد هُزمت أمريكا في هذه الحادثة أيضاً، ومن الطبيعي أنَّ لها ذيول على مستويات مختلفة في المنطقة، وهؤلاء أيضاً يُعدّون جزءاً من الطرف المنهزم.

إنَّ ما ذكرناه، من أنَّ هناك انتصار من جهة، وانهزام من جهة أخرى، يمثّل إحدى الحوادث الكبرى، التي تشتمل على الكثير من العِبَر، التي سوف تستفاد منها الشعوب ــ شاء العدو ذلك أم أبى ــ أي أنّ الشعب الفلسطيني، والعراقي، والإيراني، والشعوب الأخرى، قد تيقّنت من خلال ذلك، أنَّ السبيل الوحيد للانتصار، هو المقاومة والثبات.

وليس هناك سبيل آخر، وإن كان المقاومون ثلّة قليلة، وقابلتهم قوَّة عسكرية تعتبر من الطراز الأول في العالم، ومدعومة من قِبَل أمريكا أيضاً، إلا أنَّ ما حدث هو سرٌّ من أسرار الله، وسنَّة إلهية.

إنَّ المقاومة هي الطريق إلى النصر، بشرط أنّ لا يخشى رجال المقاومة من الأخطار؛ لأنَّ

بمجرد دخول الخشية إلى قلوبهم، سوف تضعف مقاومتهم، ولم يتمكّنوا من تحقيق النصر، وهذه هي آفة أغلب الشعوب والجماعات المقاومة، فَهُم يترددون في وسط الميدان.

فلو أنَّ أيَّ مجموعة، أو شعب يرغب في المقاومة، لا ينتابه الخوف نتيجة لفقدان ملذّات الدنيا، والعزوف عن الراحة والعيش الرغيد، ويتقدّم للأمام دون اضطراب و ضجر، فمما لا ريب فيه أنَّ النصر سوف يكون حليفه.

إنَّ هذه المقاومة إذا كانت مشفوعة بالإيمان، فسوف تستمر؛ ولهذا نقول، وقلنا ذلك مراراً: إنَّ الإيمان المشفوع بالمقاومة، سيكون حليفه النصر، وإنَّ مرادنا من الإيمان ليس الإيمان الديني وحسب، بل الإيمان بأي مبنى من المباني، وبالطبع إذا كان الإيمان دينياً، فحينها يتحقق ما وعد به الله تعالى، من جعل جميع القوانين الطبيعية والتاريخية في خدمة هذه المقاومة: (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ)[11]

هذه الآية متعلّقة بطلّاب الدنيا، ومن يلهث وراءها، والله يعطيها لهم أيضاً، أمَّا الشخص الذي يريد الدين، فكذلك يعطيه الله من فضله: « كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء »[12]

إنَّ حادثة لبنان، درس أعطي لكافة المسلمين، وعليكم أن تعلموا ــ أيَّها الأخوة والأخوات الأعزاء ــ إنَّ صفحة عظيمة طُويت من تاريخ المنطقة بعد هذه الحادثة، ومن المحتمل أن لا تُعلم آثار ذلك في القريب العاجل، إلا أنَّ ذلك سيتّضح للجميع بالتدريج، وعلى الأمد البعيد.

لقد خاضت الشعوب التجربة مرَّة أخرى بعد الثورة الإسلامية ــ حيث إنَّ انتصار الثورة الإسلامية يمثِّل إحدى هذه التجارب ــ وأصبحت شاهدة على أنَّ طريق النصر والخلاص، لا يمكن تحقيقه إلا بالتصدّي للمستكبرين، والمتجاوزين والظلمة.

إنَّ ما أريد أن أقوله هو: أن الذين مُنو بالهزيمة في هذه الحادثة، لم ولن يتوانوا عن أفعالهم الشريرة، فالواقعة لم تنته بعد، وهم مستمرّون في أفعالهم، ومساعيهم التآمرية؛ من أجل التعويض عن ما حلَّ بهم من هزائم؛ لأنَّ الضربة التي تلقّوها كانت ضربة قاسية، هاهي قد حلَّت بالكيان الصهيوني المزيَّف الذي كان يسعى ــ دائماً ــ الغرب بأسره ــ أوربا، وأمريكا.. وغيرهم ــ على مدى الخمسين سنة الماضية، من أجل تثبيته، فضلاً عن جيشه الذي يتوقّف وجوده عليه.

---

[11] الإسراء: 18.

[12] الإسراء: 20.

إنَّ الجيش لابد أن يكون مورد ثقة الشعب، وإنَّ الذي ذاق الخزي والعار في هذه الحادثة، هو الجيش الإسرائيلي ــ الذي ترتبط به الحكومة والتنظيمات وتعتمد عليه معنويات أفراد الشعب ــ

إنَّ هذا الجيش وقع في مستنقع، وهُزم من قبل مجموعة من الشباب، لا تمتلك إلا إمكانات محدودة جداً؛ ولهذا فإنَّ الهزَّة كانت عنيفة بالنسبة له، وتبذل ــ الآن ــ أمريكا ونشاطي العالم من الصهاينة، ومن يقف وراءهم، الجهود من أجل السيطرة بشكل من الأشكال على نتائج هذه الهزيمة والتعويض عن ذلك وجبرانه.

علينا أن ننتبه، ونرى ما الذي دُبّر ضد العالم الإسلامي، والأمَّة الإسلامية، وكافة الشعوب المسلمة ــ منفردة أو مجتمعة ــ؟

إذاً فعلينا الإنتباه وتوخّي الحذر.

لقد كان مخطط الأعداء هو استهداف لبنان في بادئ الأمر؛ من أجل إضعاف حزب الله، إلا أنَّهم لم ينجحوا في ذلك، لكنَّهم لم يتوانوا عن ذلك، فَهُم الآن في صدد تضعيف حزب الله من الناحية السياسية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، حيث بتوجيه الضغوطات السياسية؛ للحيلولة دون ازدياد قدرة وقوَّة حزب الله، فهم يريدون تغيير مهمّة قوات الأمم المتحدة المُسمّاة (اليونيفيل) ــ التي جاءوا بها من مختلف الدول، والتي كانت مهمّتها الدفاع عن الشعب اللبناني ضد تجاوز الأجانب ــ ويقومون بتحريض الشعب ضد حزب الله ــ الذي يعتبر القوَّة النابضة في لبنان ــ وهذه هي إحدى خططهم.

بالطبع، إنَّ تلك الدول التي أرسلت قوّاتها، هي منتبهة إلى أنَّ عليها عدم التورّط مع الشعب اللبناني، أو التصدّي لحزب الله، إلا أن سياسة أمريكا تعمل من أجل هذا الهدف.

إنَّ الشعب اللبناني يحب حزب الله، وإنَّ أغلب الساسة اللبنانيين البارزين ــ سواء كانوا شيعةً أو سنَّةً أو مسيحاً ــ يقفون إلى جانب حزب الله ويفخرون به، إلا أنَّ الأعداء يسعون للحيلولة دون حصول ذلك.

إنَّ من الأعمال التي يسعى وراءها العدو، القضية الفلسطينية، فإنَّ ما يحدث الآن في فلسطين، هو محاولة للتعويض ــ مقداراً ما ــ عمّا مُنوا به من خزيّ في قضية

لبنان، وإنَّ القسط الأكبر من هذه الضغوط، يتمثَّل في المذابح التي تحلّ يومياً بالشعب الفلسطيني، كالهجوم على المناطق المختلفة ــ سواء في الساحل الشرقي، أو في قطاع عزَّة ــ لجبر العار الذي حلَّ بهم، وإسقاط حكومة حماس.

إنَّ ما أريد أن ألفت إليه انتباه الأخوة الفلسطينيين الآن ــ والذي جاء قسم منه في الخطبة العربية التي سألقيها ــ هو: أنَّ علينا، وعلى الشعب الفلسطيني، والأمَّة الإسلامية بأسرها، الإنتباه إلى أنَّ العدو يسعى لتحويل المواجهة من مواجهة الشعب ضد المحتل إلى مواجهة الشعب ضد الشعب ــ كالفلسطينيين في مواجهة الفلسطينيين، في فلسطين، و العراقيين في مواجهة العراقيين، في العراق ــ فلابدّ للجميع الانتباه والحذر من ذلك.

إنَّ الوحدة، هي أهم ما يحتاجه الشعب الفلسطيني اليوم، كبقية مناطق العالم.

إنَّ من جملة الأعمال التي يسعى لها العدو، القضية العراقية، وبالطبع، إنَّ القضية العراقية كانت من ضمن جدول أعمالهم قبل القضية اللبنانية، إلا أنَّها الآن اشتدّت أكثر من ذي قبل.

إنَّ قضية العراق ولبنان، وما يحدث من قضايا أخرى، هي حلقات متفرّقة لسلسلة من المؤامرات الأمريكية، حيث كان هدفهم تمرير نواياهم الخبيثة، فجعلوا العراق نقطة لانطلاقهم، لكنهم فشلوا في ذلك، ثمَّ اتّجهوا إلى لبنان، فكان موقفهم أسوأ من السابق، أمَّا الآن فَهُم يعيشون في حالة من السُبات، ومع ذلك فإنَّ الأمريكيين ومن يقف وراءهم، يكرّسون كل جهودهم؛ من أجل دفع ــ مقداراً ــ من عجلة سياساتهم إلى الأمام.

في العراق ــ أيضاً ــ يقومون الآن بنفس المسألة، فَهُم يسعون لجعل الشعب في مواجهة مع بعضهم الآخر، والحقيقة هي: أنَّ المحتلّين عندما جاءوا، أخذوا يتدخّلون في كافة الأمور ــ في الحكومة، والبرلمان، والقضايا الإدارية، وفي مهام رئيس الوزراء، وفي الأمور المالية والأمنية ــ تدخّلات غير مناسبة وليس في محلّها، والأقبح من ذلك والأخطر، ما يقومون به من ترويج للعنف بين أفراد الشعب العراقي، وهو ما دلّت عليه الشواهد الكثيرة.

أي أنهم ينوون من خلال استغلال الشيعة والسنَّة، في جعل الشعب يواجه بعضه الآخر، فيحرّضون السنَّة للنيل من الشيعة بنحو من الأنحاء، والشيعة للنيل من السنَّة أيضاً، ويجعلون أحدهم يتعطّش لدماء الآخر ومحاولة الانتقام منه.

هذه هي سياسة أمريكا في العراق.

إنَّ إخوتنا العراقيين اليوم هم بأمسّ الحاجة للاتحاد؛ بسبب إدراكهم للحقيقة، وهي محاولة العدو تحويل المواجهة بين الشعب والمحتلّين إلى المواجهة بين أبناء الشعب العراقي بعضهم مع البعض الآخر، وهذا ما يجري على صعيد المنطقة بأسرها.

إنَّ سياسة التفرقة المذهبية والطائفية القديمة قد بُعثت من جديد، وبالطبع، فإنَّ البريطانيين هم المتخصّصون في هذا الأمر، وهو ما علَّموه للأمريكيين، فَهُم يحاولون إيقاع الفتنة بين الشيعة السنّة، بأي شكل من الأشكال، فعلى الجميع الحذر من ذلك.

إنَّ الشيعة والسنَّة في العراق قد عاشوا قروناً جنباً إلى جنب، وهناك الكثير من العوائل الشيعية والسنّية التي ترتبط مع بعضها البعض بنحو من أنحاء الارتباط، ولم يطرح ــ على امتداد القرون الماضية ــ أي مشروع من شأنه أن يثير الاختلاف بينهم، سوى ما كانت تقوم به الدولة العثمانية من إيذاء للشيعة والضغط عليهم، وكان الأمر كذلك ــ إلى حدٍ ما ــ في عهد الطاغية صدام وبعض الأزمنة الأخرى، إلا أنَّه لم يكن يُذكر أنَّ هناك خلاف بين أفراد الشعب من الشيعة والسنَّة، لكن العدو يحاول اليوم، إثارة الفتنة والخلاف بينهم.

ومن الأمور التي أخذت تُطرح في بعض نواحي العالم الإسلامي في الوقت الراهن، مسألة الهلال الشيعي؛ وذلك على لسان بعض وسائل الإعلام المرتبطة بالعدو، كقولهم: (أيَّها السنَّة! لماذا تجلسون مكتوفي الأيدي، إحذروا فإنَّ الشيعة أخذوا بالتسلّط عليكم!) فهم يريدون تأسيس هلالاً شيعياً من إيران إلى العراق إلى البحرين وحتى لبنان؛ من أجل إرعاب الشعوب والحكومات السنيَّة.

ومن جهة أخرى ــ أيضاً ــ يُظهرون بعض الأمور التي تؤدّي إلى إبعاد الجمهورية الإسلامية عن دول الجوار، كطرحهم لمسألة الجزر الثلاث، ومسائل مختلفة أخرى؛ من أجل أن تشعر إيران أنَّها أصبحت مورداً للتهديد.

إنَّهم يحرّكون السنَّة بطريقة ما على الشيعة، ويحرّكون الشيعة على السنَّة بطريقة أخرى، وهذا هو مخطط الأعداء.

ولو أننا أردنا أن نحصل على ثمرة الانتصارات التي تحققت في الأعوام الأخيرة ــ من خلال التوكّل على الله تعالى ــ على السياسات الاستكبارية في هذه المنطقة، فعلينا توخّي الحيطة والحذر.

وعلينا أن نكرّس جميع جهودنا على بناء الذهنية السياسية على مستوى العالم، فضلاً عن بناء البلد من الداخل بكل ما أوتينا من قوَّة، ولا نترك بعض الثغرات التي يمكن أن يتسلّل منها العدو.

إنَّ يوم القدس قد أقبل علينا، وهو يوم هتاف الأمَّة الإسلامية ضد الظلم والتجاوز من قِبَل أعدائها على امتداد خمسين عاماً.

فعلى جميع أفراد الأمَّة الإسلامية الاعتزاز بهذا اليوم، وعليك ــ أيَّها الشعب الإيراني العزيز ــ أن تعتزّ أيضاً ــ كالأعوام السابقة ــ بهذا اليوم الأغر.

بسم اللَّه الرّحمن الرّحيم

وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ.

والسّلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته